الفصل الخامس

التربيـة الصينيـــة

الإطار الحضارى :

تعتبر الحضارة الصينية واحدة من أقدم الحضارات ، فمن ورائها تقاليد قديمة فى الشعر يرجع تاريخها إلى عام ١٧٠٠ ق٠م ، وسجل حافل بالفلسفة الواقعية المثالية ، وبراعة فى صناعة الخزف والنقش لا مثيل لها من نوعها ، وإتقان مع يسر لجميع الفنون الصغرى لا يضارعها فيه إلا اليابانيون ، وأخلاق قويمة قوية لم نر لها نظيرا عند كثير من شعوب العالم فى أى وقت من الأوقات ، ونظام اجتماعى ضم عددا من الخلائق أكثر مما ضمه أى نظام آخر عرف فى التاريخ ، ودام أحقابا لم يدمها غيره من النظم (١)٠

وكانت البيئة الطبيعية التى ظهرت فيها الحضارة الصينية بيئة قاسية : الأهوار، والأحراج ، والصحارى الفاصلة ، والجبال العالية ، والفيضانات الغامرة ، والحر اللافح ، والبرد الزمهرير ، والجفاف الفاصل ، والسيل الجارف ، ومن ثم كان الدافع إلى التحدى ، فروض الإنسان هذه البيئة ، وجعل منها مهدا لحضارة عريقة ٠

وفى إطار أعظم إقليم جغرافى فى قارة آسيا ، يحيط به أعظم المحيطات من الشرق والجنوب الشرقى ، كما يحده أعلى الجبال وأوسع الصحارى (صحراء كوبى) - حدث ما ظن أنه العزلة والثبات والركود ، من حيث عدم القدرة على متابعة ما يجرى داخل " السور " الطبيعى لعالم الصين ، لكن كانت الحقيقة على خلاف ذلك ، لأن من المستحيل - داخل هذا المخزون البشرى الكبير - أن يكون ثبات أو ركود أو عزلة ، فقد أثبت التاريخ امتداد الفيض البشرى الصينى إلى كافة الأقاليم المجاورة ، غزو سلمى ، منذ فجر التاريخ (٢) ٠

وتمتاز الصين على أقطار شرقية أخرى ، بل وفى الواقع على معظم الأقطار الغربية - بوفرة ما لديها من المعلومات الخاصة بماضيها المستقاة من مصادرها

الأصلية ، فهى ليست كالهند ، مثلا ، حيث الجدولة الزمنية للأحداث التاريخية ما زالت مشكوكا فيها بدرجة كبيرة ، ففى الصين يمكن فى أغلب الأحوال تحديد ليس العام فقط ، بل الشهر واليوم أيضا ، فهناك عدد كبير من السجلات التاريخية الرسمية والحوليات قد نجت من الاندثار ، وجميعها مكتوبة بقدر من الحيدة يشد الانتباه ، إلا أنه ولسوء الحظ لم يترجم منها إلا النزر اليسير للغاية (٣) ٠

وهى فى الحقيقة تزودنا بالكثير من المعلومات الفلكية وبيانات الأرصاد الجوية لأن السماوات كانت القاعدة الأساسية التى يهتدى بها فى حساب التقاويم ، كما أن الأحداث التى كانت تقع بها ، وكذلك أحوال الطقس كانت تستخدم فى التنبوء بالمستقبل ٠ لكن الثقافة الأدبية الصينية لم تكن فى مجملها شغوفة بالعلم ، ومن ثم فعلى مؤرخ حركة العلم بوجه عام أن يبحث فى اتجاه آخر عله يجد الشواهد التى يسعى إليها ، ولحسن الحظ يتوافر كم كبير من المعلومات يتمثل فيما صنفه العلماء الكونفوشيون على أنه كتابات " متنوعة " (٤)٠

وكان أوائل السكان الذين عاشوا على أرض الصين كما ندرك من بقاياهم ، هم ذلك الجنس الذى ينتمى إليه " إنسان بكين " ، الذى عاش فى بداية أو أواسط عصر البلستوسين (حوالى ٤٠٠٠٠٠ ق٠م) ، أى فى زمن أسبق من زمن إنسان " نياندرثال " ، الذى عاش فى أوربا وحوض البحر المتوسط (٥) ٠ وهناك أيضا شواهد معينة على وجود سكان عاشوا فى الصين فى العصر الحجرى المتأخر (حوالى ١٢٠٠٠ ق٠م) ٠ أما بعد ذلك فهناك فجوة واسعة فى التواصل ، حيث لا توجد سائر المراحل التالية من عصور ما قبل التاريخ إلا فى منشوريا ٠ وفجأة بعد ذلك (حوالى ٢٥٠٠ ق٠م) تبدأ الأرض الشاغرة فى استضافة عدد كبير من السكان النشطين ، وتظهر مئات بل آلاف القرى يسكنها أناس يرعون قطعان الحيوان فى إطار اقتصادى زراعى وعلى دراية بالمنسوجات والنجارة وصناعة الخزف وتبدو الحاجة واضحة إلى العمل الأثرى المكثف من أجل إلقاء الضوء على هذه الفجوة الغريبة بين سكان العصر الحجرى ومن أعقبوهم فى العصر الحجرى المتأخر(٦) ٠

وليس فى الناس من يعرف من أين جاء الصينيون أو إلى أى جنس ينتسبون ؟ أو متى بدأت حضارتهم فى الزمن القديم . وتدل كشوف أندرسن Anderson وغيره فى " هونان " و " منشوريا الجنوبية " على أن ثقافة تنتسب إلى العصر الحجرى الحديث وجدت فى تلك البلاد متأخرة بألفى عام عن مثيلتها فى عصر ما قبل التاريخ فى مصر وسومر . ويشبه بعض ما وجد من الأدوات فى الرواسب الباقية من العصر الحجرى الحديث ، فى شكله وتسنينه ، المدى الحديدية التى يستخدمها سكان الصين الشمالية لحصاد الذرة الصينية فى أوائل القرن العشرين ، وهذه الحقيقة على ضآلة شأنها ترجح القول بأن الثقافة الصينية قد دامت سبعة آلاف متواصلة غير منقطعة (٧) .

وفى فترة سميت بالدولة الوسطى الزاهرة فى تاريخ الصين القديمة سرت فى الحياة العقلية بين ظروف التفكك ومظاهر الفوضى السائدة فى البلاد حيوية تنقض ما يضعه المؤرخون من نظريات وقواعد عامة يريدون أن يأخذ الناس بها ، فقد وضعت فى هذا العهد المضطرب قواعد اللغة الصينية والأدب والفلسفة ، والفن ، ونشأ من ائتلاف الحياة التى أصبحت آمنة بفضل التنظيم الاقتصادى والادخار مع الثقافة التى لم تكن قد وجدت بعد أو قيدت بالقيود والأحكام التى تفرضها عليها التقاليد والحكومة الامبراطورية القوية السلطان ، نشأ من ائتلافها ذلك الإطار الاجتماعى الذى احتوى أكثر العهود إبداعا وإنشاء فى تاريخ الصين الذهبى ، فكان فى كل قصر من قصور الأباطرة والأمراء ، وفى آلاف من المدن والقرى ، شعراء ينشدون القصائد ، وصناع يديرون عجلة الفخار أو يصبون الآنية الفخمة الجميلة ، وكتبة ينمقون على مهل حروف الكتابة الصينية وسوفسطائيون يعلمون الطلبة المجدين أساليب الجدل والمحاجة العقلية ، وفلاسفة يتحسرون ويأسون لنقائص البشر وتدهور الدول (٨).

وعلى الرغم من أن هناك أدلة على وجود حضارة متقدمة فى الصين فى كل العصور القديمة ، فإن التاريخ الفعلى المسجل يبدأ بأسرة شانج Shang فى القرن الرابع عشر ق.م . وتشير الأدلة المتاحة إلى أن هذه الحضارة كانت حضارة متقدمة ، فالفن الذى يعود إلى هذه الفترة هو فن مصقول ومركب ، حتى وفقا للمعايير الحديثة . وقد انتهت هذه الأسرة بالغزو على يد شعب تشو Chou الأكثر بدائية ، والذى يفيد التراث أنه قد أسس أسرة تشو فى عام ١١٢٢ق.م (٩) .

وعلى الرغم من أن " التشو " كانوا أكثر بدائية على الصعيدين الفنى والثقافى ، فإنهم كانوا شعبا ذا عزم وتصميم ، وقد قاموا بغزو أجزاء كبيرة من الصين معتمدين على القوة والعنفوان وحدهما . وإذ لم تتوافر لهم السبل التى تمكنهم من إدارة كل الأراضى التى قاموا بغزوها كدولة مركزية واحدة ، فقد فوضوا سلطة إدارية لزعماء القبائل والنبلاء الذين تربطهم بهم علاقات طيبة ، وقدموا مساحات من الأرض مقابل الصداقة والتعاون من جانب هؤلاء الملاك الجدد الذين منحوا الأرض . ويبدو أن هذا النظام الإقطاعى قد ساد بشكل جيد خلال صدر عهد تشو(١٠) .

وشهد القرنان والسادس والخامس ق.م فى بلاد الصين عصرا من الاستنارة العقلية ، لكن سبق هذا العهد عهد من الحروب والفوضى فتح أمام المواهب غير ذات الأنساب العريقة مسلكا للرقى ، وحفز أهل المدن إلى أن يطلبوا لأنفسهم معلمين يثقفون أذهانهم بالفنون العقلية ، وسرعان ما كشف معلمو الشعب ما فى علوم الدين من إبهام وغموض ، وما فى الأداة الحكومية من نقص ، وعرفوا أن المقاييس الأخلاقية نسبية ، وشرعوا يبحثون عن المثل العليا والكمال المطلق (١١). وقد أعدم الكثيرون من هؤلاء الباحثين على يد ولاة الأمور الذين وجدوا أن قتلهم أسهل من محاججتهم . وتقول إحدى الروايات أن كونفوشيوس نفسه ، الذى كان وزير الجريمة فى مقاطعة " لو " حكم بالإعدام على موظف صينى متمرد بحجة أنه " كان فى وسعه أن يجمع حوله طائفة كبيرة من الرجال ، وأن آراءه كانت تجد بسهولة من يستجيب لها من العامة ، وأن تجعل العناد صفة خليقة بالإكبار والإجلال ، وأن سفسطته كان فيها من المعارضة والمعاندة ما يمكنها من الوقوف فى وجه الأحكام الحقة المعترف بها من الناس " ، وإن كان البعض يشكك فى هذه الرواية (١٢) .

وخلال العهود الطويلة – سواء أكان الحكم مركزيا أو غير مركزى ، وطنيا أو غير وطنى – عانت الجماهير الصينية معاناة قاسية لدرجة السقوط تحت سيطرة العصابات المسلحة التى كانت تشارك فى مسيرة الحكم أحيانا ، بطريق مباشر أو بالتأثير على سياسة الحاكمين . ولأن الشعب كان يلجم إيمانه بهذا الواقع ، فقد سهل عليه أن يتقبله . أو أن يجد ما يبرر قبوله (١٣) . وقد استطاع هذا " الزحام " الجماهيرى أن يؤلف

معتقدا هو مزيج من الظواهر الطبيعية والظواهر الإنسانية ، التى لا حيلة له فيها أو معها إلا الرضا بقضائها ، والصبر على نازلتها ، ومحاولة تخفيف ويلاتها .

وليس عجيبا أن تمتزج الظواهر الإنسانية بالظواهر الطبيعية فى معتقد ، ذلك لأن الظواهر الإنسانية من نواتج الظواهر الطبيعية ، حتى تشاكلتا وتبادلتا الأسماء . هذا بالإضافة إلى أن المعاناة الكبرى كانت من " العصابات المسلحة " التى كانت تجوب المزارع والمقاطعات ، وتفرض الإتاوات ، وتهلك الحرث والنسل ، وهذه العصابات تكونت من المطحونين والموتورين والأقنان الذين تحملوا من قسوة الإنسان والطبيعة معا ما دفعهم إلى التمرد والانتقام ، وأكثر ما يكون هذا الانتقام من أولئك الذين على مثالهم من المطحونين والموتورين والأقنان ، ومن هنا نشأت الأسطورة التى تم تكد تتجاوز هذا الواقع المهين (١٤).

ومما له أعمق الدلالات التربوية حقا ، هو تلك الروح " العائلية " التى تسود نمط العلاقات فى الصين ، إذ تعتمد الدولة فيها على هذه الصورة من صور الرابطة الأخلاقية وحدها (١٥) ، والولاء الموضوعى للأسرة هو الذى يميز الدولة الصينية ، فالصينيون ينظرون إلى أنفسهم على أنهم ينتمون إلى أسرهم أو عائلاتهم ، وعلى أنهم فى الوقت نفسه أبناء للدولة . وهم فى داخل العائلة ليست لهم شخصيات ، لأن الوحدة الجوهرية التى يوجدون فيها هى وحدة الدم والوحدة الطبيعية ، وليس لهم فى الدولة كذلك شخصيات مستقلة ، لأن العلاقة الأبوية البطرياركية هى السائدة ، ولأن الحكومة تقوم على أساس ممارسة الرعاية الأبوية للإمبراطور الذى ينظم كل قطاعات الدولة .

وهناك خمسة واجبات ذكرت فى كتاب (تشو - كنج) بوصفها العلاقات الأساسية العظيمة التى لا تتغير ، وهى (١٦) :

- الواجبات المتبادلة بين الامبراطور والشعب .
- الواجبات المتبادلة بين الآباء والأبناء .
- الواجبات المتبادلة بين الأخ الأكبر والأخ الأصغر .
- الواجبات المتبادلة بين الزوج والزوجة .
- الواجبات المتبادلة بين الصديق وصديقه .

وتمثل واجبات الأسرة التزاما مطلقا وهى تتحدد وتنظم بقانون ، فليس للابن أن يبدأ بالكلام حين يدخل أبوه عليه الغرفة ، وإنما ينبغى عليه أن يتنحى ويتوارى بطريقة ما بجوار الباب ، وليس له أن يترك الغرفة دون إذن من الأب ٠ وعلى الابن ، إذا مات الأب أن يعلن الحداد لمدة ثلاث سنوات ، وأن يمتنع عن الأكل وشرب الخمر ، كما أن الأعمال التى كان يقوم بها لابد أن تتعطل حتى ولو كانت أعمالا للدولة ، فهو مضطر للتخلى عنها ، كما أنه لا يجوز أن يعقد قران فى الأسرة خلال مدة الحداد (١٧) ٠

ومن الأهداف الرئيسية للصينيين أن يكون لهم أبناء يشرفونهم فى الجنازات ، ويحترمون ذكراهم بعد الموت ، ويزينون لهم قبورهم ٠ وعلى الرغم من أن الرجل الصينى قد تكون له عدة زوجات فإن واحدة فقط هى التى تكون سيدة المنزل ، وعلى أبناء الزوجات الأخريات احترامها احتراما مطلقا بوصفها أما للكل ٠ وإذا لم يكن لدى الرجل الصينى أبناء من أى من زوجاته فإنه يلجأ إلى التبنى وفى ذهنه عمليات التشريف التى تقام له بعد وفاته ٠ ولكل عائلة فى الصين " قاعة للأسلاف " أو الجدود يجتمع فيها أعضاء الأسرة جميعا كل عام ، وتعلق فى هذه القاعة صور أولئك الذين شغلوا مناصب سامية (١٨) ٠

الحكمة التاويــة :

من غير شك أن ما تمتع به فلاسفة الصين ، قبل كونفوشيوس ، ومن بعده ، لم يكن قاصرا على ما عرف عن الشعب الصينى من نزعة نحو الحكمة وتخلق بالصبر ، وقناعة بالمصير ، فما كانت الأرض الصينية لتشع إشعاعات تغير من التكوين البيولوجى والنفسى لشعب هو أكثر شعوب العالم عددا ، ولعله ، كما أشرنا من قبل ، أكثر البلدان تنوعا من حيث المناخ ، مما لابد أن يؤدى إلى إرساء دعائم التنوع الفكرى والاختلاف المذهبى (١٩) ٠

ومن أقدم الأفكار الميتافيزيقية الصينية ، فكرة ال " ين Yin " أو " يانج Yang " ، ومعنى " ين " الحرفى ، هو " الظل " ، ويعبر عنه بالكتابة التصويرية بالجانب الشمالى لجبل والجانب الجنوبى لنهر ، لأنه فى الصباح تكتنف الظلمة جنوب النهر ، أما " يانج

" ، فمن ناحية أخرى يعنى " الضوء " ، ويعبر عنه بصورة مغايرة ، و " يانج " إيجابى ، و" ين " سلبى ، الأول ذكر والثانى أنثى ، ولكن " ين " و " يانج " لا يشكلان مذهب الثنائية Dualism الذى يقسم العالم إلى قسمين ، هذه المبادىء من خصائص عالم الظواهر فقط ، وعن طريق هذين العنصرين تتم عملية الخلق (٢٠) .

ولقد ورد أول بيان لفكرتى " ين " و " يانج " فى كتاب غامض عنوانه بقدر غموض محتواه ، اسمه " آى - تشنج " I.Ching ، كتاب " التغيرات " Book of changes، وأن من يعلنون أن العقلية الصينية عاجزة عن التأمل الميتافيزيقى ليتجاهلون مقدار ما يتمتع به هذا الكتاب من مقام رفيع .

أما أصل كل معنى فى الكون ، فهو " التاو " Tao ، أى " الطريق " ، وكان أول فيلسوف تجاوب مع دقة مبدأ " التاو " هو " لاو - تزى Lao-Tze ، الذى له شهرته كمؤلف كتاب تاو - تى - تشنج Tao-Te-Ching الذى يعنى كتاب دستور الطريق ، والفضيلة The Book of the way and of virtue . وقد ولد " لاو - تزى " سنة ٦٠٤ق.م فى محافظة " هونان Honan " فى الصين الوسطى ، وتوفى سنة ٥١٧ ق.م (٢١) .

وأغرب ما نراه فى دعوة " لاو - تزى " هى دعوته إلى نبذ التفكير وما يساعد عليه ويؤدى إليه ، على اعتبار أن " الطريقة " ، العمل والسلوك هو الأجدى ، فالتفكير أمر عارض سطحى لا خير فيه إلا للجدل والمحاجة ، يضر الحياة أكثر مما ينفعها ، أما " الطريقة " فيمكن الوصول إليها بنبذ العقل وجميع مشاغله ، وبالالتجاء إلى حياة العزلة والتقشف والتأمل الهادىء فى الطبيعة . وليس العلم فى رأى صاحب الكتاب فضيلة ، بل إن السفلة قد زاد عددهم من يوم أن انتشر العلم . وليس العلم هو الحكمة ، ذلك أنه لا شىء أبعد عن الرجل الحكيم من " صاحب العقل " . وشر أنواع الحكومات التى يمكن تصورها حكومة الفلاسفة ، ذلك أنهم يقحمون النظريات فى كل نظام طبيعى ، وأكبر دليل على عجزهم عن العمل هو قدرتهم على إلقاء الخطب والإكثار من الآراء (٢٢) .

ويقول لاو إن الطبيعة قد جعلت حياة الناس فى الأيام الخالية بسيطة آمنة ، فكان العالم كله هنيئا سعيدا ، ثم حصل الناس " المعرفة " ، فعقدوا الحياة بالمخترعات وخسروا كل طهارتهم الذهنية والخلقية ، وانتقلوا من الحقول إلى المدن ، وشرعوا يؤلفون الكتب ، فنشأ من ذلك كل ما أصاب الناس من شقاء ، وجرت من أجل ذلك دموع الفلاسفة ، فالعاقل إذن من يبتعد عن هذا التعقيد الحضرى وهذا التيه المفسد الموهن ، تيه القوانين والحضارة ، ويختفى بين أحضان الطبيعة ، بعيدا عن المدن والكتب ، والموظفين المرتشين ، والمصلحين المغترين ٠ وسر الحكمة كلها وسر القناعة الهادئة ، وهى وحدها التى يجد فيها الإنسان السعادة الأبدية ، هو الطاعة العمياء لقوانين الطبيعة ، ونبذ جميع أساليب الخداع وأفانين العقل ، وقبول أوامر الطبيعة (٢٣) ٠

ونتوقف بعض الشىء أمام عدد من نصوص كتاب " الطريق إلى الفضيلة " ، فهو يتحدث عن " المدرس " وواجبه فى ترويض شرار الناس ، فيقول (٢٤) :

من هو الرجل الطيب ؟
إنه مدرس الرجل الشرير ٠
من هو الرجل الشرير ؟
إنه بعض من مسئولية الرجل الطيب
إذا لم يحترم المدرس ،
وإذا لم ينل التلميذ الرعاية
فإن الفوضى سوف تعم ، مهما كانت براعة الإنسان ،
وهذا هو سر اللغز ٠

وهو يشدد على نبذ العنف والقوة وأدواتها المادية المعروفة ، يقول (٢٥) :

حقق النتائج ولكن ليس عن طريق القوة ٠
استخدام القوة ، يعقبه – دائما – فقدان القدرة ٠
هذا ليس طريق " التاو " ٠
كل ما يسير عكس طريق " التاو " يلقى نهايته سريعا ٠
الأسلحة العظيمة آلات للخوف ٠

والمخلوقات جميعا تكرهها .
وأتباع " تاو " لا يستعملونها أبدا .
.....
الأسلحة آلات الخوف ،
ليست من أدوات الرجل الحكيم ،
يستعملها - فقط - عندما لا يبقى أمامه خيار آخر .
السلام ، والهدوء ، أماني عزيزة على قلبه .

وهو يكشف عن بعض النظرات الحكيمة التى تنير الطريق أمام من يبتغى سواء السبيل ، فيقول (٢٦):

معرفة الآخرين : حكمة .
معرفة النفس : كشف .
قيادة الآخرين تتطلب قوة .
قيادة النفس تقتضى القدرة .
من يشعر بأن عنده ما يكفيه غنى .
المثابرة من علامات قوة الإرادة .
من يحافظ على مكانه يبقى .

وهو يدعو إلى التزام الطريق المستقيم ، صحيح أنه لا يوصف ماهية ومضمون هذا الطريق ، لكن الأجزاء الأخرى التى سقنا أمثلة لها ، وكذلك ما سوف يأتى ، يمكن أن توضح مواصفات هذا الطريق المستقيم ، يقول (٢٧):

لو أن لى حتى قليلا من العقل ،
لسرت فى الطريق الرئيسى المستقيم ،
ولكان خوفى الوحيد أن أحيد عنه .
اتباع الطريق الرئيسى سهل ،
ولكن الناس مغرمون بالانحراف عنه .

وينتقد لاو الترف والغنى المادى ، وكيف أن تكدس الثروة لدى البعض مؤشر على فقر آخرين ، وأن أغلب هذه الثروات تجىء عن غير طريق سوى ، يقول (٢٨) :

عندما يكون بلاط الملك غارقا فى الفخامة ،
فإن الحقول تمتلىء بالحشائش والأعشاب ٠
وتفرغ مخازن الحبوب ٠
بعض الناس يرتدون ملابس مزركشة ،
ويحملون أسلحة حادة ٠
ويملأون بطونهم بالطعام والشريف ٠
وتصبح ممتلكاتهم أكثر مما يستعملون :
هؤلاء هم السادة اللصوص ٠
طريقهم – بالتأكيد – ليس طريق " التاو " ٠

أما " الفضيلة " فهى القيمة الأساسية التى تدور حولها الكثير من كلمات حكيم الصين الكبير ، يقول (٢٩) :

ازرع الفضيلة فى نفسك ،
تصبح الفضيلة حقيقة ٠
اغرسها فى الأسرة ،
تظل أبدا فياضة ٠
ازرعها فى القرية ،
تنمو الفضيلة ٠
ازرعها فى الأمة ،
تصبح موفورة ٠
ازرعها فى الكون تجدها فى كل مكان ٠

وآخر ما يمكن الاستشهاد به هذا النص الذى يؤكد فيه على فضيلة ضبط النفس والتحكم فى الأهواء الخاصة والنوازع الشخصية ، يقول حكيمنا (٣٠) :

فى الاهتمام بالآخرين ، وخدمة السماء ،
ليس هناك أفضل من التحكم فى النفس ٠

والتحكم فى النفس ،
يبدأ بالقدرة على التخلص من أفكار المرء الخاصة .
وهذا يعتمد على ما جمعه من فضيلة الماضى .
فإذا كان هناك مخزون كاف من الفضيلة ،
فلن يكون هناك مستحيل .
وإذا لم يكن هناك مستحيل ،
فلن تكون هناك حدود .
وإذا لم يعرف الإنسان حدودا ،
فهو جدير بأن يكون حاكما .
ومع تحقق المبدأ " الأم " للحكم ،
يبقى الحكم صالحا أمدا طويلا .
وهذا هو ما يسمى : الجذور العميقة والأساس المتين .

فإذا ما أردنا أن نفسر الأصول المجتمعية لمثل هذه الفلسفة " التاوية " ، فسوف نجد أن لنشأتها أصلان : الأول هو فلاسفة عصر الولايات المتحاربة الذين اتبعوا " تاو " الطبيعة ، لا " تاو " المجتمع البشرى ، والذين لم يرغبوا فى الالتحاق بخدمة الإقطاع وانسحبوا إلى الريف أو إلى البرارى من أجل التأمل ودراسة الطبيعة (٣١) . وهؤلاء كانوا طرازا من الرجال يبدو أنهم كان لديهم شعور راسخ - وإن لم يتمكنوا من التعبير عنه تعبيرا كاملا - بأن المجتمع البشرى لا يمكن أن يرتقى إلى المرتبة التى طمح إليها الكونفوشيون إلا إذا تعاظم فهمه للعالم الطبيعى .

الأصل الثانى للتاوية يتمثل فى السحرة و " الشامانات " - الطبيب الساحر - الذين وفدوا على الحضارة الصينية عن طريق الشمال فى عصر مبكر للغاية ولعبوا دورا هاما فيها كممثلين للسحر وعبادة الطبيعة ، وهى ممارسات كانت وثيقة الصلة بالمعتقدات الشائعة . كانت الشامانية ديانة تقدس الآلهة الثانوية (الصغرى) والأرواح الكائنة فى عالم الطبيعة ، وكان من معتقداتها أن باستطاعة الكهنة - عن طريق الاستغراق فى الطقوس و " الدروشة " وتخيل التحليق فى الجو - السيطرة على

تلك الأرواح والاتصال بالقوى الخفية ، وشفاء أمراض البدن والعقل فى الإنسان ، وضمان التوفيق فى الصيد والحصاد (٣٢) .

الكونفوشيوسية :

تنسب إلى " كونفوشيوس " ، الذى ولد عام ٥٥١ ق.م فى إمارة " لو Lu " الصغيرة بولاية " شانتونج Shantung " ، وتوفى بها عام ٤٧٩ ق.م . وهو ينحدر من أسرة نبيلة يرجع أصلها إلى الإمبراطور العظيم هوانج - دى (٣٣) . واسم كونفوشيوس هو النطق اللاتينى لاسم الحكيم الصينى ، موضوع الحديث ، ، وهو يتكون من لفظين : كونج K,ung ، وهو اسم الأسرة التى ينتمى إليها ، وفو - تسيه Fu Tze ، ومعناه : الأستاذ المبجل ، أو الحكيم أو الفيلسوف ، فاسم كونج - فو تسيه أى الأستاذ كونج ، حرفه ، أو لتنه (نسبة إلى اللاتينية) الأوربيون فصار مشهورا عندهم ب : " كونفوشيوس Confucius " ، ويعنى إذن : الأستاذ كونج أو الفيلسوف كونج أو الحكيم كونج (٣٤) .

وكانت الحقبة الزمنية التى ولد فيها كونفوشيوس تشهد اضمحلال النظام العبودى وتعاظم النظام الإقطاعى ، فكانت الفوضى العارمة تضرب فى كل مكان مما ترك آثارا واضحة فى أعماله التى راحت تدعو إلى بذل الجهد لاستقامة الفرد والمجتمع بموجب " التطلع نحو المعرفة بصبر وثبات " و " التعهد بالتمسك بالقضايا العادلة " (٣٥) .

وكان العالم حوله يعج بالفوضى الناتجة عن نظام قديم انهارت دعائمه ونظام جديد لم يثبت بعد جدرانه ، ومن ثم فكانت قناعة كونفوشيوس بأن المجتمع الإنسانى عبارة عن جسد جمعى نمطى ، يمكن أن يلمم أطرافه بمعيار السلوك القويم سعيا إلى السلام والرفاهية لكل الناس ، وكانت تلك السلوكيات تنبع من معايير قيمية يلتزم بها الفرد إلى جانب ثقافة أخلاقية تجردت بالإخلاص والولاء والتراحم والاحترام والتقديس للأكبر سنا ، والإيمان والحكمة والشجاعة والأمانة والصبر ، ثم صبت جميعا فيما عرف بعد ذلك بالمنهاج (الطريق) ، والذى احتوى صفتين أساسيتين : الإيمان ، والصبر .

ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره بدأ يشتغل بالتعليم ، واتخذ داره مدرسة له ، وكان يتقاضى من تلاميذه ما يستطيعون أداءه من الرسوم مهما كانت قليلة ، وكانت المواد التى يشملها برنامجه ثلاثا : التاريخ ، والشعر ، وآداب اللياقة . ومن أقواله : " إن أخلاق الرجل تكونها القصائد ، وتنميها المراسم (أى آداب الحفلات والمجاملات) ، وتعطرها الموسيقى " (٣٦) .

وكان تعليمه كتعليم سقراط شفهيا ، لا يلجأ فيه إلى الكتابة ، ولهذا فإن أكثر ما نعرفه من أخباره قد وصل إلينا عن طريق أتباعه ومريديه ، وذلك مصدر قد يعتوره قدر من الشك . وقد ترك إلى الفلاسفة مثلا قل أن يعبثوا به - وهو ألا يهاجموا قط غيرهم من المفكرين ، وألا يضيعوا وقتهم فى دحض حججهم . ولم يكن يعلم طريقة من طرائق المنطق الدقيق ، ولكنه كان يشحذ عقول تلاميذه بأن يعرض بأخطائهم فى رفق ويطلب إليهم شدة اليقظة العقلية . ومن أقواله فى هذا المعنى : " إذا لم يكن من عادة الشخص أن يقول : ماذا أرى فى هذا ؟ فإنى لا أستطيع أن أفعل له شيئا " . " وإنى لا أفتح باب الحق لمن لا يحرص على معرفته ، ولا أعين من لا يعنى بالإفصاح عما يكنه فى صدره . وإذا ما عرضت ركنا من موضوع ما على إنسان ، ولم يستطع مما عرضته عليه أن يعرف الثلاثة الأركان الباقية ، فإنى لا أعيد عليه درسى "(٣٧) .

ولما كان المأزق القائم أمام حكيمنا يتمثل فى ظروف عامة محيطة بنظام ينهار ونظام آخر على وشك الظهور ، فمعنى هذا أنها لم تكن فى حقيقتها عوامل مشجعة على أى إصلاح مثالى للمجتمع ، مما جعل الاحتكاك مؤلما ، والصراع عنيفا بين مثالية كونفوشيوس وواقع الحال المرير من حوله . وفى مواجهة زمن صعب لم يكن أمام من فشلوا فى تحقيق آمالهم السياسية سوى أحد خيارين : إما الهرب والعزلة داخل أبراجهم الأخلاقية ، أو التخلى والتنازل ، ثم الانجراف مع التيار . إلا أن كونفوشيوس اختار لنفسه اتجاها آخر أصعب من ذلك كله ، أعلنه بقوله أنه يدرك تماما أن شيئا لن يتحقق ، وأنه لا فائدة ، لكنه ، مع ذلك ، سيظل مثابرا يلح على تحقيقه حتى النهاية، وأمام محاولات إغرائه قال بأنه كإنسان فهو لا يمكن أن يختار المشى مع قطيع الوحوش ، وبأنه ما لم يختر المشى مع الإنسانية ، فمع من عساه يمشى ؟! (٣٨) .

وقد تمثل أكبر جهد كونفوشيوس فى نقله التراث الصينى ، فى لغة بسيطة سهلة ، حتى يفيد منها أكبر عدد من الصينيين ، وحتى يعملوا على إعادة مجد أسلافهم . وأدت جهوده إلى تأليف خمسة كتب ، يعرض فيها تاريخ الصين القديم ، وأصول ديانات الأسر الصينية وعشائرها ، ودرس فنون المعرفة الستة التى كانت سائدة فى عصره (٣٩) : الطقوس ، والموسيقا ، والرماية ، وقيادة العربات والجياد ، والقراءة ، ثم الرياضة والحساب . لهذا كان تلاميذه يلقبونه ب (معلم البشرية) ، بل كانوا يعدونه أعظم معلم أنجبته العصور ، وكانوا ينقلون آراءه ويعلقون عليها ويشرحونها ، مما ساعد على تكوين مدرسة كبرى ، وهى المدرسة الكونفوشيوسية .

والكتب الخمسة التى استمد منها كونفوشيوس إلهامه هى (٤٠) :

١ - كتاب الأغانى ، أو الشعر (شيه تشينج Shih Ching) ، ويحتوى على ثلاثمائة أغنية وخمس ، بالإضافة إلى التراتيل الدينية ، وتعود أشعار هذا الكتاب إلى عهد تشو .

٢ - كتاب التاريخ (شو تشينج Shu Ching) ، ويشمل الوثائق التاريخية الخاصة بالصين فى عصورها القديمة (من ٢٠٠٠ - ٧٠٠ ق.م) ، ولا سيما الأوامر والمراسيم الملكية والإمبراطورية .

٣ - كتاب التغيرات (آى - تشينج I-Ching) ، الذى يبين سبب تطور الحوادث ، وفيه استطاع أن يحول التنجيم إلى دراسة علمية للسلوك الإنسانى ، وكيف يتأثر الإنسان بالظروف الطبيعية والاجتماعية التى تكتنفه ، ومن ثم يمكن التنبوء بسلوك الفرد ومستقبله ، (ويعزى هذا العمل تقليديا إلى وينج وانج Weng Wang ١١٠٠ ق.م) .

٤ - كتاب الربيع والخريف (تشو تشو Chun Chiu) ، وقد عالج فيه تاريخ الصين بالتفصيل بين سنتى ٧٢٢و ٤٦٤ ق.م تقريبا .

٥ - كتاب الطقوس ، أو التقاليد (لى تشى Li Chi) ، وهو مجموعة من القواعد التى تنظم السلوك الاجتماعى . وقد تم تأليف هذا الكتاب بعد كونفوشيوس بوقت طويل ، ولكنه قد يمثل بصورة جيدة القواعد والعادات التى تعود إلى عصور سابقة .

وهناك كتب أخرى كتبها تلاميذه ، وإن كانت تنسب إلى " منشيوس " - حوالى ٣٧١ - ٢٨٩ ق.م - تلميذه الروحى ، الذى تتلمذ فعلا على حفيده " تزيس Tsesze " ، ويعد منشيوس أكبر شخصية فى تاريخ المذهب الكونفوشى ، ومن هذه الكتب (٤١) :

١ - مختارات كونفوشيوس (لون يو Lun yu) ، وهى أقوال كونفوشيوس لتلاميذه ، وقد قاموا بجمعها وتنسيقها .

٢ - العلم العظيم (تاهسو Ta Hsueh) ، وهو يضم تعاليم كونفوشيوس التى تحتوى اقتراحاته الخاصة بنظام الحكم . ويعكس هذا الكتاب تطوير هوسون تسو لفكر كونفوشيوس .

٣ - عقيدة الوسط (تشونج يونج Chung yung) ، ويضم تعاليم تنسب إلى كونفوشيوس حول تنظيم الحياة .

٤ - كتاب منشيوس (منج تسو Meng tzu) ، وهو شروح على متن مبادىء كونفوشيوس ، كتبها منشيوس .

وإذا كان كونفوشيوس لم يظهر أى ميل شخصى للتفكير الصوفى فلقد كان على علم بالسحر الذى كان يؤثر به مثل هذا التفكير فى جمهرة البشر . وهو لم ينكر وجود عالم روحى أسمى ، بل هو بالأحرى أعطى الأولوية لاعتبارات الحكومة الإنسانية والرفاهية والسعادة . ولقد اتبع فى تأملاته الخاصة ، مثلما اتبع فى تعاليمه ، منهج البحث العقلى والمنطقى . أما عن تطوير حالات " السبات " ، طبقا لمبادىء " اليوجا " ، فقد رفض أن يطبقه بنفسه بعد بضع تجارب مبكرة : " لقد قضيت يوما كاملا بلا طعام والليل بطوله بدون نوم لكى أتأمل ، ولكن بدون جدوى . من الأفضل التعلم ، ومرات ومرات " .

وعندما كان يسأل عن أمور فيما وراء الخبرة المباشرة البشرية ، كان كونفوشيوس يجيب بكلمات أكثر وضوحا من البوذا نفسه ، وإن كانت له دوافع مختلفة جدا . وعندما سأله تلميذه " تزو - لو Tzu - Lu " أن يتحدث عن واجب الإنسان إزاء أرواح الراحلين ، أجاب : " إذا كنت لا تزال عاجزا عن أداء واجبك إزاء الأحياء ، فكيف تستطيع أن تؤدى واجبك إزاء الأموات ؟ وفى مناسبة أخرى ، عندما سئل عن طبيعة

الموت ذاته ، أجاب فى شىء من الاستخفاف : " إذا كنت لا تفهم الحياة ، فكيف يمكن أن تزعم أنك تفهم الموت ؟ " ٠وكثيرا ما كان يتعرض تلاميذه لانتقادات ، بل سخريات النساك الذين كانوا يحيون الحياة البسيطة وحياة العزلة ، لأنه حتى ذلك الوقت كان ينظر إلى الشخص الحكيم على أنه الشخص الذى من الأفضل أن يركز أفكاره ويتخلى عن كل اتصال بالعالم ٠وكان من ردوده فى هذا الشأن " إذا لم يكن للحكيم الصائب أن يسود العالم ، فلا ينبغى لى أن أشارك فى إصلاحه " (٤٢) ٠

لقد كانت الميزة الكبرى لكونفوشيوس تكمن فى نقله للحكمة من الصعيد الفلسفى إلى صعيد الحياة اليومية ليجعل منه قيمة عملية ، ومن هنا أخذ عليه البعض بأنه قد اقترب من الابتزال !! وإذا كان قد قال لحفيده ومريده " تسو - سو " : " الجبل الكبير ينهار ، والعارضة الرئيسية تتحطم ، والحكيم يذبل " ، إلا أنه كان بإمكانه أن يكون راضيا عن حياته ٠ لقد أنجز عملا مفيدا للغاية وذلك بتبديده العقلية السحرية التى كانت تغلب على الثقافة الصينية ، من أجل تقريبها إلى العقلانية (٤٣) ٠

وما من شىء فى الحياة اليومية الصينية إلا وقد تأثر بطريقة أو بأخرى بالمذهب الكونفوشيوسى ، وما من عمل هام ، وما من سلوك عائلى ، حب وصداقة ، وما من عمل أدبى أو فلسفى ، وما من مراسم ، وما من مظهر من مظاهر آداب المعاشرة ، وما من عمل اجتماعى قد خلا من تأثير كونفوشيوس ٠لقد كتب كاتب صينى فى صحيفة انجليزية عام ١٩٠٩ يقول أنه خلال الألف وخمسمائة عام السابقة : " عشنا فى الصين على رأسمال جمعه أسلافنا ٠ ولقد حفظت لنا بصيرة وحكمة فيلسوفنا العظيم كونفوشيوس ذكراه وخبرته الثمينة ، وبدونه ، لكان الشرق الأقصى قد غرق فى أعماق البربرية " (٤٤) ٠

ويقول كونفوشيوس إن ما يجعل البشر إنسانيين حقا هو ما يسميه بال " جين Jen ، وهذا هو السر فى أن الطريق الكونفوشى هو فى جوهره طريق " جين " أو طيبة القلب الإنسانية ٠ ولقد ترجمت كلمة " جين " بطرق شتى ، ومن هذه الترجمات : الفضيلة ، الإنسانية ، الإحسان ، الرجولة الحقة ، الطابع الأخلاقى ، الحب ، الخير الإنسانى ، وطيبة القلب الإنسانية ٠ والتعبير الإنجليزى Human Heartedness

يوحى بأن " جين " هى ما يجعلنا إنسانيين ، وأنها أمر متعلق بالشعور ، وكذلك بالتفكير ، وأنها أساس العلاقات الإنسانية كافة . وتكشف ترجمة كلمة " جين " بطيبة القلب الإنسانية كذلك على التشديد الصينى على القلب ، وليس على العقل ، باعتباره السمة المحددة للطبيعة الإنسانية (٤٥) .

ومما لا شك فيه أن القدرة على حب الآخرين لها تبعات أخلاقية مهمة ، الأمر الذى يقتضى التفكير فى " الجين " من منظور أخلاقى ، ومن هنا يجىء قول حكيمنا : " يرغب كل إنسان فى الثروة والشرف ، ولكنهما إذا تم تحقيقهما عن طريق مخالف لمبادىء الأخلاق ، فإنه لا ينبغى الإبقاء عليهما . ويكره كل إنسان الفقر وتواضع المرتبة ، ولكن إذا لم يكن بالإمكان تجنبهما إلا بمخالفة المبادىء الأخلاقية فإنه لا ينبغى تجنبهما . وإذا ما نأى شخص رفيع المكانة عن الإنسانية (الجين) فكيف يمكن أن يحقق تلك المكانة ؟ ذلك أن الإنسان الرفيع المكانة لا يمكنه قط التخلى عن الإنسانية (الجين) ، حتى ولو من أجل وجبة طعام واحدة ، فهو فى لحظات التعجل وهو مسرع يعمل وفقا لها ، وهو فى أوقات الشدة والاضطراب يعمل وفقا لها " (٤٦) .

جاء فى كتاب (العلم العظيم) : " إن القدامى الذين أرادوا أن ينشروا الفضائل فى أنحاء الإمبراطورية قد بدءوا بتنظيم ولاياتهم أحسن تنظيم ، ولما أرادوا تهذيب نفوسهم بدءوا بتطهير قلوبهم ، ولما أرادوا أن يطهروا قلوبهم عملوا أولا على أن يكونوا مخلصين فى تفكيرهم ، ولما أرادوا أن يكونوا مخلصين فى تفكيرهم بدءوا بتوسيع دائرة معارفهم إلى أبعد حد مستطاع ، وهذا التوسع فى المعارف لا يكون إلا بالبحث عن حقائق الأشياء ، فلما بحثوا عن حقائق الأشياء أصبح علمهم كاملا ، ولما كمل علمهم خلصت أفكارهم ، فلما خلصت أفكارهم تطهرت قلوبهم ، ولما تطهرت قلوبهم تهذبت نفوسهم ، ولما تهذبت نوفوسهم انتظمت شئون أسرهم ، ولما انتظمت شئون أسرهم صلح حكم ولاياتهم ، ولما صلح حكم ولاياتهم أضحت الإمبراطورية كلها هادئة سعيدة " (٤٧) .

وعلى الرغم من أن النص السابق يقوم على أساس " خيالى حالم " ، لأن البحث عن " حقائق الأشياء " وصولا إلى " العلم الكامل " مجرد استغراق فى " حلم دافىء " لا

علاقة له بالواقع ، إلا أن الأحلام مهما اتسع خيالها هى خطوة على الطريق ، ورغبة " عارمة " فى الوصول ، وسواء صح هذا أو لم يصح فهو دعوة إلى صدق الظاهر والباطن ، إلى " تصحيح المعانى " أو " تحرير الألفاظ " ، ذلك لأن " الأشياء التى يتأثر بها الإنسان كثيرة لا حصر لها ، وإذا لم يكن ما يحب ويكره خاضعين للسنن والقواعد تبدلت طبيعة الأشياء التى تعرض لها " ٠

وبما أن العرف هو مقوم أساسى من مقومات الحياة الاجتماعية من حيث أنه يربط برباط وثيق بين أفراد المجتمع ، استخدم كونفوشيوس كلمة " لى li " للتعبير عن مجموعة القيم والعادات الأخلاقية والأعراف الاجتماعية المتشابكة التى تحفظ للمجتمع تماسكه وتوازنه وتظهر شخصيته الحضارية ، وتوفر للفرد الطمأنينة والسعادة ٠ وتعنى كلمة " لى " قواعد السلوك وآداب اللياقة الاجتماعية المثالية ، والطقوس والشعائر التى تخلو من التزمت والجمود ، وتراعى الظروف والمناسبات الاجتماعية ، وتتضمن التوقير والاحترام لمت تجرى عليهم (٤٨) ٠

وتتمثل هذه العادات والأعراف والطقوس والشعائر فى أنواع معينة من الطعام ينبغى أن يتناولها الناس فى المناسبات المختلفة والمراحل المتباينة من الحياة ، كما يعبر عنها أنواع الملابس التى ينبغى أن يرتديها الناس فى الأيام المقدسة ، وعند الانحناءات التى ينبغىأن يؤدوها عندما يحيون بعضهم بعضا ، والطريقة التى يجب أن يسيروا بها فى الشوارع " فالرجال على الجانب الأيمن والنساء على الجانب الأيسر " ٠كما تتمثل ال " لى " أيضا فى شعائر الزواج والولادة والوفاة والجنازة وشتى أنواع الأضاحى والأعياد ، وتنظيم العمل ، وقوانين الضيافة ، والقواعد التى تسير الحياة بمقتضاها فى البلاط والمستخدمين (٤٩) ٠

وولاء الأبناء لآبآئهم علامة أخرى مهمة على طريق التربية الكونفوشيوسية ، وقد اكتسب أهمية كبرى فى بعض المدارس الكونفوشيوسية ، وهو باللغة الصينية " هسياو Hsiao " التى تعنى أصلا الولاء للآباء الموتى وللأسلاف ، والواجبات التى ينبغى أن تؤدى لهم كتقديم القرابين ، والطعام ٠ أما بالنسبة لكونفوشيوس الذى كان يشدد على تأدية الواجب للأحياء ، فقد أصبح الولاء البنوى يعنى خدمة " الوالدين أثناء

حياتهما " ، وهذه العلاقة بين الأبناء والآباء هى من أهم علاقات خمس سبق أن أشرنا إليها وهى علاقات محورية تدور حولها كذلك تعاليم حكيمنا ، وهذه العلاقات هى علاقة الأمير بالرعية ، وعلاقة الإبن بأبيه ، والأخ الأكبر بأخيه الأصغر ، وعلاقة الزوج بزوجته ، وعلاقة الصديق بصديقه . واحترام الإبن لأبيه ، عند معظم الصينيين ينطوى فى التطبيق العملى على مواقف احترام الصغير للكبير ، والحب والمودة المتبادلين من جانب الكبير للصغير ، فكلاهما جزء من السلوك اليومى بين الأحياء ، ومن الالتزام الدينى فى مراسم العبادة بعد الموت (٥٠) .

أما ال " يى Yi " فهى تلك الفضيلة الرئيسية فى التربية الكونفوشيوسية والتى تترجم عادة على أنها " الاستقامة Righteousness " ، وقد قال كونفوشيوس : " ينظر الرجل الأسمى إلى الاستقامة (يى Yi) ويبرزها باعتبارها جوهر كل شىء ، وهو يلتزم بها بحسب مبدأ آداب (لى Li) ، ويبرزها فى تواضع ، ويمضى بها إلى نهايتها فى إخلاص . إنه حقا الرجل الأسمى " (٥١) .

و" يى " بهذا هى التى تدلنا على الطريق الصحيح للتصرف فى مواقف محددة ، بحيث أننا نكون على توافق مع " جين " ، وبالتالى تصبح " يى " هى الاستعداد الأخلاقى للقيام بالسلوك والقدرة على إدراك ما هو صحيح فى آن معا ، وهى قدرة تعمل كنوع من الحس أو الحدس الأخلاقى . ويتحدث كونفوشيوس فى بعض الأحيان عن هذه القدرة من خلال شخصية المرء أو استقامته الأخلاقية ، ذلك الشخص ذا الشخصية الأخلاقية القوية الذى يرى فرصة للكسب يفكر أولا فيما إذا كان القيام بذلك من شأنه أن يكون صوابا على الصعيد الأخلاقى " يى " ، ومثل هذا الشخص على استعداد للتضحية بحياته من أجل شخص يتعرض للخطر (٥٢) .

والوسط والانسجام عند كونفوشيوس هما نقطة الذروة فى الطبيعة الإنسانية ، إذ أن هذه الطبيعة تتألف من قسمين : النفس أو الذات أو المركز والأحاسيس أو المشاعر والانفعالات ، فعندما لا تتنبه الأحاسيس أو الانفعالات مثل الغضب أو الحزن أو الفرح تدعى الوسط أو الاعتدال ، وعندما تتنبه هذه الأحاسيس أو الانفعالات دون أن تتجاوز الحد المعتدل يقال عن النفس أو الذات أنها فى حالة الانسجام . وبعبارة أخرى إن

الأحاسيس عندما تتجسد فى الخارج ، وهى تعثر على الإيقاع الصحيح تسمى انسجاما ، فإن الوسط أو الاعتدال هو الأصل ، والانسجام هو القانون العام ، " فحالة المركزية أو النفس أو الذات هى المنشأ الأعظم " ، وحالة الانسجام هى " السبيل الحسن البعيد المدى ، لكل ما هو موجود فى العالم " ٠ وحينما يلحق الوسط أو الاعتدال والانسجام غايتهما ، ويتحققان ، يسود الاستقرار الكامل فى السماء وعلى الأرض ، وتتلقى جميع الأشياء حقها كاملا ، وتتقدم نحو الكمال ، بما يفيد أن المجال الأخلاقى والمجال الميتافيزيقى لا ينفصلان بل النظام الخلقى والنظام الكونى يشكلان وحدة أو كيانا واحدا (٥٣) ٠

وقد لاقت آداب كونفوشيوس إقبالا تاما وحازت الإعجاب العظيم ٠ وقد قيل مرة عن الصينيين إنهم وضعوا أرفع قوانين أخلاقية أنتجها العقل البشرى من غير أن يستمد معونة الوحى الإلهى ، وإن تعاليمهم البارزة ظلت أغنى ما ورثه كل عصر من العصور الحاضرة المتوالية عن كل عصر من العصور الماضية المتوالية ٠ وقد أعلن هذا خاصة بسبب ذلك المبدأ الذى وضعه كونفوشيوس على لسان المدرس حين يسأل التلميذ قائلا : هل هناك كلمة واحدة يمكن استخدامها قاعدة عامة لكل تجارب الإنسان التى تمر به فى حياته ؟ فأجاب المعلم قائلا : بلى ، أليس فى كلمة " تبادل المعاملة الإجابة المناسبة ؟ فما لا تريده لنفسك لا تقدم عمله للآخرين ٠ ومن الغريب فى أخلاقهم أن يكون هذا بالنفى وليس بالإيجاب (٥٤) ٠

وهكذا كانت الأخلاق مطلبه وهمه الأول ، وكان يرى أن الفوضى التى تسود عصره فوضى خلقية ، لعلها نشأت من ضعف الإيمان القديم وانتشار الشك فى ماهية الصواب والخطأ ٠ ولم يكن علاجها فى رأيه هو العودة إلى العقائد القديمة ، وإنما علاجها هو البحث الجدى عن معرفة أتم من المعرفة السابقة ، وتجديد أخلاقى قائم على تنظيم حياة الأسرة على أساس قويم صالح (٥٥) ٠

ولعله من المناسب أن نتوقف مع القارىء أمام بعض النصوص المتضمنة أقوالا لكونفوشيوس ذات أبعاد تربوية تحتاج إلى تأمل وحسن استيعاب وفهم :

- فهناك نص يكشف لنا عن عمق حاجتنا فى العصر الراهن إليه ما يتضمنه من معانى ، ، فلقد كثرت عبارات ومصطلحات تستهدف غير ما تعلنه ، فتزيف وعى الناس ، وبالتالى تدفعهم إلى سلوكيات مرادة فى الباطن ، تفسد أكثر مما تصلح ، مثل " تحريك الأسعار " ، " ثقافة السلام " ، " الشرعية الدولية " .. إلخ . إننا إذن بحاجة إلى تسمية المسميات بأسمائها الحقيقية حتى يستقيم الطريق أمام الناس ، يقول حكيمنا : " إن أهم ما نحتاج إليه إنما هو تصحيح التسميات (..) ، فليكن الحاكم حاكما ، والوزير وزيرا ، والوالد والدا ، والإبن ابنا .." (٥٦) .

- وعن قواعد وأصول المعاملات بين الناس يرتفع صوت كونفوشيوس : " إن الرجل الصالح إذ يريد الإبقاء على نفسه يساند الآخرين ، وإذ يريد أن ينمى ذاته فهو ينمى الآخرين " ، إلى أن يأتى إلى مفهوم " ناحية التقويم " ، يقول : " لا تستعمل ما لا تحبه فى رؤسائك فى التعامل مع من هم أقل منك مكانة . لا تستعمل ما لا تحبه فى من هم أدنى منك مكانة فى طريقة خدمة من يعلو عليك مقاما . لا تستعمل ما لم تحبه فى من جاء بمسلك لكى تتقدم أنت علي من هم خلفك . لا تستعمل ما تمقته فى من يأتون بعدك لكى تسير وراء من هم قبلك . لا تستعمل ما لا تحبه على يمينك للتظاهر به بالنسبة لما هو على يسارك . ولا تستعمل ما لا تحبه فى ما هو على يسارك بالنسبة لما هو على يمينك . هذا هو ما يسمى باسم ناحية التقويم " . إن هذا الجانب بصفة خاصة إنما يؤكد مبدأ العدل فى المعاملات الاجتماعية ، وفى هذا الإطار تجىء تعليمات أخرى : " اخدم والدك كما تريد أن يخدمك ابنك .. اخدم حاكمك كما تطلب ممن تحت إمرتك أن يخدمك أنت ... اخدم أخاك الكبير كما تبغى أن يخدمك أخوك الصغير .. ثم : اضرب مثلا بكونك تعامل أصدقائك كما تريد منهم أن يعاملوك أنت " .

- وتتجلى قيم التسامح ، والحرص على نقد الذات ، ومبدأ المساءلة والمراجعة ، فيقول حكيمنا : " كم هو ممتع أن تتعلم وأن تراجع ما تعلمت ، وكم هو ممتع أن تلقى صديقا حميما يأتيك من سفر بعيد . يا له من رجل مهذب ذلك الذى يتجاوز عن تجاهل الناس لمكانته العالية " (٥٧) .

ومن هنا يجىء قول أحد تلاميذه " سنغ زى " ممن استوعبوا درس المعلم الكبير : " فى نهاية كل يوم أراجع نفسى فى ثلاثة أمور وأتساءل : هل بذلت كل جهدى لمساعدة

الآخرين بـإخلاص ؟ - هل كنت صادقا وفيا طوال اليوم لأصدقائى ؟ - هل راجعت واستفدت من دروس أساتذتى ؟

- ويستمر هذا الإلحاح الواضح على التربية العائلية ، وتمتين الروابط الأسرية ، كما يتجلى هذا فى قول " يوزى " ، أحد تلاميذ كونفوشيوس : " هناك صنف من الناس يمجد أباه وأمه ويحترم أهله وأقرباءه ، ثم إنه لجرىء أمام متجبر ذى سطوة ، حمل وديع بين ذوى قرباه . وإنه لصنف نادر من البشر . وهناك من لا تبدو منهم هنة فى حق رؤسائهم برغم ما جبلوا عليه من التمرد والعصيان ، وهؤلاء أيضا عز وجود أمثالهم بين الخلق ، لذا وجب على الماجد الشريف أن يتحلى بهذه الصفات ، فإذا تمكنت فيه صارت أصلا ، فإذا صارت أصلا أنبتت الإحسان ، وإن احترام الأهل وإكبار ذوى القربى لهما أفضل ما نبت من فرع الإحسان " (٥٨) .

- ومن غير أن يستخدم مصطلحاتنا التى نستخدمها اليوم ، يعبر الحكيم الكبير عن نفس المعنى الذى نقصده عندما نفضل " التربية الوقائية " عن " التربية العلاجية " ، يقول الرجل : إن الهداية بقوة القانون ، والرشاد بسن العقوبة فى متن نصوص التشريعات .. كل ذلك قد يجبر الناس على اجتناب الرذيلة ، لكنه لا يقنعهم بفداحتها . لا يبغضها فى نفوسهم تبغيضا ، أما الموعظة بمكارم الأخلاق والتهذيب ، بالحض على التقوى ومحامد السلوك فإنه يوقد الخشية فى القلوب .. يلهب الرعب فى الضمائر ، ويقود النفوس بزمام إرادتها .. طائعة مختارة إلى صادق التوبة وأزكى المثاب " .

- وتحدث كونفوشيوس عن تلميذه " زيشان " فقال ، به أربع خصال تؤهله للسؤدد والشرف : التواضع الجم فى مسلكه الشخصى ، التفانى والاحترام فى سلوكه مع رؤسائه ، الإخلاص والعطف مع المرؤوسين ، العدالة والإنصاف فى تصريف شئون عامة الناس (٥٩) .

- وقال أيضا : " ثلاث خصال كان يذمها الماجد الفاضل " تسوشومسنغ " - أحد رجال البلاط فى مملكة " لوجو " ، كان معاصرا لكونفوشيوس - وكذلك أذمها ، واستصغر شأن من اتسمت بها أخلاقه : " قول ظاهره معسول وباطنه سم ناقع ، ثم وجه زائف ،

يقطر بشاشة ، ويخفى ضغائن ، وتبجيل مسرف . يوحى باحترام صادق . وتحوطه دواهى .. الفتن والكراهية .. تبا للنفاق ، فما ذم تسوشيو مينغ أحدا كمن تقنع بالود ، وطيب المعشر ، بينما سريرته مترعة بالحقد وسوء الظن ، فبئست الخصلة ومن والاها " .

وبعد موت كونفوشيوس عام ٤٧٩ ق.م تفرق تلاميذه (ويروى أنهم كانوا سبعين تلميذا) ، ونشأت منهم مدارس كونفوشيوسية متعددة ، وأهم شخصيتين بين هؤلاء التلاميذ هما " منشيوس Mencuis " - ٣٩٠-٣٠٥ ق.م - ، و " هسون تسو Husn- Yzu " . ولقد ذهب واحد من الفلاسفة الصينيين المحدثين إلى تشبيه مكانة كونفوشيوس فى تاريخ الصين بمكانة سقراط فى تاريخ الغرب ، كما شبه منشيوس (المثالى فى مزاجه الخاص فى فلسفته) بأفلاطون ، وهسون تسو ، الواقعى ، بأرسطو . ويشكل كونفوشيوس ، ومنشيوس ، وهسون تسو نوعا من الثالوث بوصفهم الآباء المؤسسين للكونفوشيوسية (٦٠) .

اللغة والكتابة :

إذا كان الاختلاف بين لغات العالم أمر مسلم به ، لكن لغة الصينيين تختلف عن غيرها أشد الاختلاف فى العديد من الأوجه، ذلك أنها ليست لها حروف ولا هجاء ولا نحو ، ولا تنقسم إلى أسماء وأفعال وحروف ، وإن كان المرء لابد أن يترك مساحة لاحتمال أن هذه اللغة فى التاريخ القديم قد كان لها اشتقاق ونحو وصرف وإعراب وتثنية وجمع وأفعال ماضية وحاضرة ومستقبلة (٦١) ، ومع ذلك فهذا مجرد احتمال ، ذلك أننا لا نجد مع الأسف الشديد أثرا لشىء من هذا فيما ترك لنا من أقدم الآثار اللغوية الصينية ، فكل كلمة فيها قد تكون اسما أو فعلا أو صفة أو ظرفا بحسب سياقها وطريقة النطق بها .

والرموز الكتابية الصينية تمثل أفكارا لا أصواتا ، فاللغة الصينية لغة ذهنية idiographic لا صوتية ، وتبعا لهذا كثرت رموزها لتطابق أفكارها . وليست لهذه الرموز أصوات ، فمثلها كمثل الأرقام الحسابية فمعناها تميزه العين قبل أن تدركه الأذن : ومن المستحيل أن نقدر العدد الذى تتكون منه رموز هذه اللغة ، ويقدره خبراء ، فيما

عدا المترادفات والكلمات غير المستعملة بما يقرب من ٢٥ ألف رمز . وإذا حسبنا عدد هذه الرموز بعد أن تدخل عليها العلامات المشددة ، وجدنا أنه يزيد على ٢٦ ألف رمز . وإذا تذكرنا أن هذه الرموز لابد من أن تحفظ عن ظهر قلب كما تحفظ حروفنا الأبجدية ، تصورنا مقدار المجهود الشاق الملقى على عاتق التلميذ (٦٢) .

وعلى أية حال ، فمعظم هذه الرموز نادرا ما يستخدم ، وكتبهم التسعة المقدسة – التى يتكون منها معظم مادة التربية – لا تحتوى فى الواقع على أكثر من خمسة آلاف رمز . زد على ذلك أن هناك ستة نماذج مختلفة للكتابة اليدوية تشبه الكتابة الرومانية والكتابة المائلة والحروف السوداء فى الإنجليزية ، وهذه النماذج أو الطرق الستة هى طريقة التنميق ، الطريقة الرسمية ، الطريقة الأدبية أو النموذجية ، الطريقة العادية ، الطريقة الجارية ، طريقة الزاوية المشابهة للطباعة – ومن الواجب معرفة عدد معين من هذه الأشكال – ولكن الأهم من هذا – فيما يختص بالتلميذ – يجب أن نتذكر أن هذه اللغة المدرسية لغة ميتة من الناحية العملية ، وبذلك انقطعت صلاتها باللغة التى يستعملها فى حياته اليومية (٦٣) .

وقبل أن يكتشف الصينيون الورق كانوا يستخدمون للكتابة شرائط طويلة مصنوعة من أعواد البامبو ، ثم درع السلحفاة والعظام وألواح الخشب والأحجار وأوانى النحاس .. إلخ ، بينما لجأوا إلى استخدام الحرير أيضا (٦٤) ، وقد كتبت النصوص الطويلة على شرائط البامبو وعلى الحرير ، بينما كتبت النصوص القصيرة (المعادلات السحرية المختلفة ، أسماء الناس إلخ) على مواد أخرى . وكان البامبو يقسم إلى شرائط طويلة بحيث كان يمكن أن يكتب عليها عموديا سطرا أو سطرين أو عدة سطور ، وفى رأس الشريط كان هناك ثقب بحيث كان يمكن أن تجمع عدة شرائط معا . وهذا الشكل للكتاب كان يبدو أيضا عندما تتم الكتابة على مواد أخرى كألواح العظام والخشب . كانت ألواح الخشب أعرض من شرائط البامبو ، ولذلك كان يمكن أن تكتب بها سطور عمودية أكثر . أما الحرير فقد كانت له ميزة كبيرة على الأنواع الأخرى المذكورة لأنه كان لينا ومناسبا للكتابة مما كان يجعله شبيها بورق البردى فى مصر (٦٥) .

وفى القرن الخامس الميلادى سجل لنا مؤرخ البلاط " فان يه " كيف أن " تساى لون " اكتشف سنة ١٠٥م طريقة لإنتاج الورق ، نظرا لأن الحرير كان غاليا وشراط البامبو ثقيلة مما كان يجعلها غير مناسبة للكتابة ، وكما يضيف المؤرخ فان يه ، فإن الورق منذ ذلك الحين أصبح يستخدم فى كل مكان . إلا أن المؤرخين اليوم لديهم ما يجعلهم يعتقدون أن اكتشاف الوسيلة لإنتاج الورق لا يرتبط بفرد واحد بل بسلسلة من الاكتشافات والإضافات للأفراد الذين سبقوا تساى لون ، وعلى كل حال فإن هذا الرأى يدعمه الآن اكتشاف قطعة من الورق تعتبر أقدم قطعة ورق معروفة حتى الآن ، وهى تسبق تقرير تساى سنة ١٠٥م (٦٦) .

وقد سجل لنا المؤرخ فان يه أن تساى لون قد استخدم لإنتاج الورق لحاء الشجر والحبال القديمة والخرق البالية وشبكات الصيد القديمة . وقد عمد تساى إلى طحن هذه المواد الأولية وإضافة الماء من حين إلى آخر حتى توافرت له عجينة ، ثم فرش هذه العجينة على شكل شريحة رقيقة فوق مصفاة ، وحين جف الماء أخذ شريحة الورق ودقها لكى تجف تماما ، وبهذا الأسلوب توصل تساى لون إلى طبق رقيق ومتين من الورق (٦٧) .

وكان الصينيون فى عصورهم الكلاسيكية يعمدون إلى الإكثار من الكتب عن طريق النسخ ، ونظرا لتعقيد الكتابة الصينية فإن النسخ كان عملا مرهقا بالنسبة للناسخ الصينى ، وذلك بالمقارنة مع عمل زملائهم فى حوض المتوسط ، ولذلك فليس من المستغرب أن النساخ الصينيين كانوا يرتكبون أخطاء كبيرة مما كانوا يتسببون فى مشاكل مشابهة لتلك التى كان يتورط بها النساخ فى اليونان أو فى أوربا . ومن هنا فقد كانت طبقة رجال الدين القوية تهتم دائما بهذه المشاكل ، وبالتحديد فى كيفية الحفاظ على الشكل الأصلى للنصوص الدينية المقدسة سواء كانت كونفوشيوسية أو بوذية (٦٨) .

معالم فكر تربوى :

على الرغم من أننا حرصنا ، ونحن نعرض لفكر كونفوشيوس أن نركز على كل ماله صلة بالعملية التربوية ، مما يضع هذا تحت مظلة الفكر التربوى ، لكننا آثرنا أن

نزيد على هذا بالجزء الحالى تأكيدا على الأبعاد التربوية فى فكر كونفوشيوس خاصة وأنه اعتبر بحق الوجه الصينى الغالب للتربية فى هذه الحضارة العظيمة .

لقد كان كونفوشيوس بطبيعة الحال أبرز المربين الصينيين ، إذ مارس رسالته معلما أو حكيما أكثر تبكيرا فى حياته من معظم زعماء البشرية ، وما أن بلغ سن الثانية والعشرين حتى ذاع صيته فعلا لحكمته ولحياته المستقيمة معا ، وفضلا عن ذلك كانت له موهبة عظيمة فى الفصاحة ، ولما شجعه نفر من عشيرته المتحمسين ، قرر أن يفتتح مدرسة فى داره كما سبق أن أشرنا ، ولم يشترط شروطا معينة فى من يريد الالتحاق بها ، بل إن المصروفات التى كان يطالب بها التلاميذ لم تكن موحدة ، إذ أن الذى يحددها هو قدرة التلميذ على الدفع .

كذلك وضح من أجزاء سابقة أن كونفوشيوس كان حريصا أشد ما يكون الحرص على ألا يحلق بتلاميذه فى أجواء التجريد والتنظير الموغل فى الميتافيزيقية ، وإنما الالتزام بتدريس " موضوعات " ذات صلة بالحياة التى يعيشها التلاميذ ، وبالحياة الى ينبغى لهم أن يعيشوها ، على ألا نفهم من ذلك وقوعا فى جب الميتافيزيقا ، ولكنها صورة من صور المثالية التى ينشدها معلم ومصلح اجتماعى ينشد التغيير والتطوير إلى ما هو أفضل ، ومن هنا كان تركيزه على ما يسمى بالسلوك العام ، فضلا عن إيمانه بقيمة الشعر والموسيقى فى العملية التعليمية (٦٩) .

وإذا كانت عملية التعليم فى مدرسة كونفوشيوس تتفق مع مدارس الأرستقراطية التى كانت قائمة ، من حيث تهيئة الدارس ليكون موظفا حكوميا ، إلا أن الغاية من التدريس انصبت فى الحالة الأولى على تنشئة الدارس تنشئة أخلاقية وتنمية مداركه العقلية ليلعب دورا حيويا مؤثرا فى الحكومة التى قد يشترك فيها بإخضاعها لخدمة احتياجات الشعب ، فى حين اتجهت غاية التثقيف فى المدارس الأرستقراطية إلى تمكين موظف الدولة من مباشرة أعمال تقليدية معينة تخدم أهداف الحاكم ، وبذلك يتحول الموظف فى هذه الحالة إلى مجرد أداة طيعة فى يدى صاحب السلطان (٧٠) .

والمعرفة عند كونفوشيوس اكتسابية وليست إلهامية ، وقد أكد ذلك في عدة مناسبات ، فقد كان يقول إنه ليس شخصا " ولد عارفا للحقيقة " ، وإنما مصدر معرفته هو القراءة والدراسةالكثيفة والملاحظة . لقد كان دائم الملاحظة لرفاق دربه . فيأخذ ما هو صالح عند أحدهم ، ويمعن فيما هو سيء عند آخر ليصون نفسه عن إتيانه . إن الإنسان يولد والمعرفة ممتنعة عليه فيما يرى كونفوشيوس ، فهو يولد جاهلا أية معلومات أو حقائق علمية ، لأن عقله في هذه الحالة أشبه ما يكون بالصفحة البيضاء ، وعليه بعد ذلك أن يجتهد في معرفة هذه الحقائق عن طريق الدراسة والبحث والتحصيل (٧١) .

ولكن كونفوشيوس ، يشير من ناحية أخرى في كتاب " المنتخبات " أو " المختارات " إلى وجود نوعين من الحكماء : أولئك الذين ولدوا وهم ذوو معرفة ألهمتهم بها السماء دون مجهود شخصي من جانبهم ، وبغير أن يكونوا على وعي بمعرفتهم ، وهؤلاء الحكماء الموحى إليهم هم الأفضل . أما النوع الثاني من الحكماء ، فهم أولئك الذين يتعلمون ويعملون على كسب الحكمة بدراساتهم المتواصلة الاجتهادية ، وهؤلاء في نظره ، هم أبناء الأرض ، الموكل إليهم عن طريق مجهوداتهم الخاصة ، حماية أنفسهم من الهوى والشر ، فإذا نجحوا في هذا اقتربوا من درجة الحكماء الملهمين أبناء السماء المشتملين على الأسرار الإلهية العظيمة .

وكان بعض الطلاب – وقد بلغ عددهم في وقت من الأوقات سبعين طالبا – يعيشون معه كما يعيش الطلاب الهنود المبتدئون مع مدرسيهم (الجورو) ، ونشأت بين المدرس وتلاميذه صلات ود وثيقة دفعت هؤلاء التلاميذ في بعض الأحيان إلى الاحتجاج على أستاذهم حين رأوه يعرض نفسه للخطر أو اسمه للمهانة . وكان رغم شدته عليهم يحب بعضهم أكثر مما يحب ابنه ، ولما مات تلميذه " هوى " بكى عليه حتى قرحت دموعه مآقيه ، وسأله دوق جاي يوما من الأيام : أي تلاميذه أحبهم إلى العلم ؟ فأجابه : " لقد كان أحبهم إلى العلم ين هوى ، لقد كان يحب أن يتعلم ، ولم أسمع بعد عن إنسان يحب أن يتعلم (كما كان يحب هوى) .. لم يقدم لي هوى معونة ، ولم أقل قط شيئا لم يبتهج له ... وكان إذا غضب كظم غيظه . وإذا أخطأ مرة لم يعد إلى خطئه .." (٧٢) .

وتتوالى تعاليمه لتلاميذه (٧٣) :

- إن كلا من الحاكم والملك يأمر كبير وزرائه أن يبلغ دروسه فى الفضيلة إلى ملايين الناس .

- يجب على الأبناء - فى خدمة والديهم - عند صيحة الديك الأولى ، أن يغسلوا أيديهم ، ويمضمضوا أفواههم ، ويمشطوا شعورهم ويغطوها بغطاء حريرى ، ويثبتوه بالدبابيس ، ويربطوا الشعر عند منابته بعصابة ، ويمسحوا ما كان عالقا من الأتربة بالأجزاء غير المغطاة ، ثم يرتدوا غطاء رؤوسهم تاركين نهايات الأربطة مرسلة ، وبعدئذ يجب عليهم أن يرتدوا سترهم السوداء المناسبة ، وأن يغطوا ركبهم بغطاء يثبتون فيه ألواحهم الصغيرة ، وعليهم أن يعلقوا أدواتهم المناسبة التى سيستعملونها على يمين المنطقة وعلى يسارها ، فعلى الجانب الأيسر توضع الممسحة والمنديل والسكين والمسن ومسمار ومرآة لإشعال النار فى الشمس ، وعلى الجانب الأيمن قمع للإبهام وسوار يلبس على الذراع وإسطوانة توضع فيها آلات الكتابة وحافظة للسكين ومسمار كبير وملقط لالتقاط النار من الخشب . ويجب عليهم أيضا أن يرتدوا عقودهم وأن يحكموا رباط أحذيتهم .

ومن الملاحظ من استقراء النصوص الموجهة لتربية الصغار والكبار على حد سواء ، أنها لا تحوى أى تصوير عما كانت بعض الشعوب تزعمه لفساد أخلاق الآلهة التى تصوروها ، كما هو الحال فى الآداب اللاتينية لدى الإغريق أو فساد أخلاق الرجال كما هى الحال لدى اليهود . كما أنها لا تتضمن أى مبالغات كما فى أساطير أغلب الشعوب ، بل على العكس تجدها تعمل على بث الفضائل لمجتمع لا يلحقه التغير ولا التقدم ولشعب له وجهة نظر مادية وضيقة نحو هذه الحياة ، وهنا لا نجد تعاليم تلهم الفرد أو يشتم منها عبير المثالية حتى أن ما لديهم من مبادىء خلقية قليلة نراها مؤسسة بحذافيرها على تقاليد غير معقولة ومستندة إلى سلطة مطلقة (٧٤) .

وكان كونفوشيوس يعتقد أن البعد عن تلاميذه وعدم الاختلاط بهم ضروريان لنجاح التعليم ، وكان شديد المراعاة للمراسم التى نقصد بها الآن أصول المعاملات الاجتماعية العامة ، ومن هنا قيل بحق أن قواعد الآداب والمجاملة طعامه وشرابه ، وكان يبذل قصارى جهده للحد من سطوة الغرائز وكبح جماحها ، وذلك بالالتزام الدقيق الحازم

بعقيدته الصارمة . ويبدو أنه كان يزكى نفسه فى بعض الأحيان ، لا عن غرور وعجب بالنفس وإنما عن تقدير حقيقى وثقة بالذات ، ويروى عنه أنه قال عن نفسه يوم من الأيام مقولة فيها بعض التواضع : " قد يوجد فى كفر من كل عشر أسر رجل مثلى .. نبلى وإخلاصى ، ولكنه لن يكون مولعا بالعلم مثلى " ، وقال مرة أخرى : " قد أكون فى الأدب مساويا لغيرى من الناس ، ولكن " خلق " الرجل الأعلى الذى لا يختلف قوله عن فعله هو ما لم أصل إليه بعده " (٧٥) .

ومع هذا فإننا يمكن أن نشير بصفة عامة أن حكيمنا كان على درجة عالية من التواضع ، وهو فى أوج عظمته ، ومن هنا فقد أكد لنا تلاميذه أنه كان يخلو من أربعة عيوب قاتلة قد لا يبرأ منها كثير من الناس ، أولها أنه كان لا يجادل وفى عقله حكم سابق مقرر ، كما أن لم يتعمد التحكم فى الناس لفرض عقائده عليهم ، وأخيرا فإنه كان بعيدا عن العناد وكذلك عن الأنانية . ولعل ما يشير إلى تواضعه قوله عن نفسه أنه كان ناقلا أكثر منه مبدعا ومنشئا . وفى هذا الصدد كان كثيرا ما يردد نصيحة غالية لهؤلاء الذين يتطلعون إلى المناصب العالية بضرورة أن يحرص المرء أكثر على أن تتوافر فيه تلك المهارات والمقومات والصفات التى تؤهله لشغل هذا الموقع أو ذاك ، أما شغله بالفعل ، فلا ينبغى أن يكون هو الهدف ، وليس مهما أن الناس لا يعرفوك . ولكن المهم أن تكون خليقا بأن يعرفك الناس (٧٦).

وقد كانت الميزة الكبرى لطرق التربية الصينية هى اعتمادها بطريق مباشر على التقليد ، وهى فى مراحلها الأولى ما هى إلا تمرين للذاكرة ، ولذلك أصبحت المدرسة الصينية مدرسة " عالية الصوت " (٧٧) ، فيناول كل طفل النصوص المناسبة ويكرر قراءتها بصوت مرتفع حتى يحفظها عن ظهر قلب ، وعندما يتم النصوص ، يقلب كتابه ، ويحاول استرجاعها ، فيسلم كتابه للمدرس ويعطيه ظهره ويبدأ فى استرجاع ما حفظه بصوت عال وسرعة فائقة دون أن يكون على علم ما بمعنى ما يسترجع .

وكانت كتابة المقالات هى أبرز منتجات هذه التربية مما جعل منها مقياسا يكشف عن مدى كفاءة المتعلم ، لكن هذه الكفاءة كانت تتبدى فقط فى القدرة على التقليد . فالكاتب الناجح فى الأدب ، من وجهة نظر هذه التربية هو هذا الذى يمكنه تقليد نظم

الشعر ومراعاة قافيته ، ويجيد السجع فى النثر ، فكأن الهدف الأسمى الذى كانت ترمى إليه المدرسة هو تكوين القدرة على كتابة المقالات المتشابهة فى الشكل وفى التركيب والمتقاربة فى الروح والعاطفة والتى تشبه " الأمثال " و " المزامير " (٧٨) ٠

تنظيـــم التعليـــم :

لم تؤسس الحكومة الصينية فى الزمن القديم مدارس نظامية لتعليم الشعب ، إذ كان من الصعب جدا إدارة مدارس تكفى لأمة بمثل ضخامة الأمة الصينية ، لكن الحكومة رأت أن يكفيها أن تشجع التعليم بألا تقبل فى وظائفها العادية ولا مراكزها السامية إلا من كان متعلما ، وبذا أسست الحكومة لجنة امتحان أعضاؤها هم " هان لن " أو " المجمع العلمى " فى بكين ، فنظم المجمع امتحانات فى مواعيد محددة كل سنة أو مرة كل سنتين بحسب أهمية الامتحان ، وكان باب الامتحان مفتوحا للجميع ما عدا أبناء الحلاقين ومن شاكلهم ، وإن كنا لا نعلم لماذا ؟ (٧٩) ٠

وكان نظام هذه الامتحانات تاما بمعنى الكلمة سنة ٧٠٠م ، على أن التعليم كان منتشرا فى جميع أنحاء الصين فى زمن كونفوشيوس ، أى فى القرن السادس ق٠م ، والأعجب من هذا أن المدارس كانت كثيرة قبل كونفوشيوس بقرون عدة ، وكان للتربية منزلة رفيعة فى أعين المفكرين والحكام ٠ ويذكر أحد المؤرخين أن الصينيين كانوا يهتمون بالتربية منذ سنة ٢٠٠٠ق٠م ، فكان الحكام يلاحظون المدارس والكليات بأنفسم وتعلم فى هذه المعاهد أبناء الأشراف فى زمن الإقطاعيات ، أما فى عصر كونفوشيوس ، فقد كان عصر اضمحلال فجاء هذا المصلح ليعيد للتربية الصينية مجدها السابق ، وكان غرضه هو وأتباعه ألا تكون المراكز والوظائف وراثية ، بل يجب أن تكون لمن يظهر تفوقا على إخوانه فى امتحان مسابقة عامة ، وانتشرت امتحانات المسابقة انتشارا عظيما فى القرن الثامن قبل الميلاد (٨٠) ٠

وعندما قبضت أسرة " تشو " على زمام الحكم سنة ١١١٥ ق٠م اعتادت الحكومة أن تمتحن طالبى التوظف ، وكان الصينيون فى ذلك الوقت قد بلغوا درجة عظيمة فى التربية ، ولذا كانوا يمتحنون طالب التوظف فى الفنون الجميلة وهى : الموسيقى والرماية والفروسية والكتابة والحسساب ، وكان على الطالب أن يكون ملما إلماما تاما

بالآداب العمومية وآداب المجتمعات ، وعدوا هذا فنا جميلا سادسا . فهذه التربية السداسية تذكرنا بالمنهج الثلاثى والمنهج الرباعى فى المدارس الأوربية فى القرون الوسطى .

وفى القرن الثامن قبل الميلاد كانت تعاليم كونفوشيوس قد انتشرت ، ولذلك تحتم على الطالب أن يبرهن على حسن سلوكه وأمانته ، وكان امتحان التوظيف قسمين :

١ - مهارتهم فى الفنون الجميلة الستة الى سبق ذكرها .

٢ - إلمامهم بواحد أو اثنين من العلوم الآتية : القانون المدنى - الأعمال الحربية - الزراعة - جباية وإدارة الأموال - جغرافية الإمبراطورية مع التفات خاص إلى طرق المواصلات المائية (٨١) .

وكانت الامتحانات تنقسم إلى أقسام ثلاثة (٨٢) :

١ - امتحانات الدرجة الأولى وتجرى مرة كل ثلاثة أعوام ، ويطلب من الطالب فيها أن ينشىء ثلاث رسائل فى موضوعات مختارة من كتاب كونفوشيوس ، ويوضع فى حجرة خاصة مفصلا عن غيره حيث يمكث ٢٤ ساعة وهو يجهد عقله فى كتابة الموضوعات ونسبة النجاح فى هذه الامتحانات ضئيلة جدا ولا تتجاوز ٤٪ .

٢ - امتحانات الدرجة الثانية ، وتقام بعد مضى أربعة أشهر على امتحانات الدرجة الأولى ، وتجرى مرة كل ثلاثة أعوام أيضا وتدوم ثلاثة أيام وتشبه فى أسلوبها ونهجها الامتحانات الأولية ، إلا أنها أهم منها وأكثر صعوبة ، ونسبة النجاح فيها ضئيلة أيضا لا تتجاوز ١٪ .

٣ - امتحانات الدرجة الثالثة ، وتقام فى العاصمة وتدوم ثلاثة عشر يوما ونسبة النجاح فيها أكبر منها من الامتحانات السابقة . ومن الأمثلة التى يسأل فيها الطلاب :

ا - أن يكون الإنسان مقتدرا ويطلب المعونة من العاجزين . أن يكون الإنسان عالما ويطلب العلم من الجهال ، وأن يكون غنيا ويظهر بمظاهر الفقر .

ب - يجب أن يكون الرجل المخلص ذكيا ، ويجب أن يكون الرجل الذكى أمينا . .

وإذا كنا لم نشهد نظاما تعليميا حكوميا إلا أننا نلاحظ انتشار مدارس القرى ، وهى معاهد خاصة ساذجة لا تزيد قليلا عن حجرة واحدة فى كوخ صغير ، كان يدرس فيها معلم واحد ويتناول أجرة من آباء التلاميذ ، وكان أجرا ضئيلا (٨٣) ، ولم يكن يتجه إلى الالتحاق بهذه المدارس إلا أبناء القادرين ، أما الفقراء فلم تتح لهم فرصة التعليم ، وغالبا ما كانت تأخذ المدرسة مكانها فى معبد من المعابد إذا لم تجد كوخا مناسبا أو سقيفة أو ركنا يأوى التلاميذ ، ولم تكن هناك مدارس للبنات ولا تعليم لغالبية التلاميذ بعد سن الخامسة عشر ، ولم يتعد الذين جاوزوا التعليم الابتدائى " الأولى " هذا أكثر من خمسة فى المائة .

على أن الدراسة بهذه المدارس المتواضعة خضعت لنظام صارم فكان الأطفال يأتون مع مطلع الشمس ويدرسون إلى قرب المغيب ، ولهم فترات راحة يتناولون فيها طعامهم ، وفى هذه المدارس كان التلاميذ يتعلمون القراءة والكتابة ومبادىء الحساب وشيئا من كتابات كونفوشيوس وبعض الشعر ، ووصفت اللغة التى استخدمت بالمدارس ، كما سبق أن أشرنا ، بأنها لغة ميتة لا تستخدم خارجها ، ولهذا فإن العمل المدرسى لم يكن يعنى الكثير عند التلاميذ ، خاصة أن المعلم كان يلجأ إلى تحفيظهم عن ظهر قلب ، وإلى استخدام العصا لتأكيد هذا الأسلوب فى التعليم (٨٤) .

وإذا كان غرض التربية فى مراحل التعليم الأولية فى التربية الصينية هو أن يلم الصينى باللغة والآداب المقدسة ، فمعنى هذا أن البنت لم يكن لها أى تقدير ولا منزلة فى تعليمهم الأدبى ، أو فى معاهدهم التربوية ، ونقصد بالإلمام هنا معرفة حرفية مطلقة للآداب بحذافيرها ومقدرة على إنشاء أسلوب شكلى ونمطى فى كتاباتهم (٨٥) .

وإذا كانت مرحلة التعليم الأولى مخصصة لاستذكار أشكال الرموز المختلفة وذلك بحفظ بعض النصوص التى أجمع على اختيارها وحفظ الكتب الدينية التسعة ، فإن المرحلة الثانية كانت مخصصة للترجمة ، أى حل تلك الرموز . وكما أن المرحلة الأولى كانت مخصصة بمجرد استذكار أشكال هذه النصوص والدروس الإنشائية ، فالمرحلة الثانية هى مرحلة قراءة فعلية ، بمعنى ترجمة تلك النصوص . أما المرحلة الثالثة فهى مخصصة لكتابة المقالات الإنشائية حتى يكتسب التلاميذ فى هذا الجانب

مهارة كافية تمكنهم من النجاح فى الامتحانات ، ويتطلب هذا التدريب على تحرير المقالات دراسة لصور الآداب وموادها ، ومن المرحلتين الأخيرتين يتألف التعليم العالى (٨٦) .

ولم يكن على المدرسين من حرج ولم يحتاجوا إلى شهادة خاصة فى فن التعليم ، لكن كان للحكومة الحق أن تغلق أى مدرسة وجدت أنها رديئة . وكان الآباء يستعملون منتهى الحذر فى اختيار المعلم الذى يسلمونه أبناءهم ، وكان المدرسون فى الغالب من حملة شهادة الفنون الجميلة ، وأحيانا كانوا أرقى من ذلك ، وكثيرا ما كان العلماء يفضلون مهنة التعليم على وظائف الحكومة ، ولذلك كان المعلم أكثر الناس احتراما بعد حاكم المقاطعة .

ومن هنا فإن كونفوشيوس حرص على أن يضع للمعلم أربع قواعد هامة من المفروض أن يلتزم بها حتى يقوم بالواجب المنوط به ، هذه القواعد هى (٨٧) :

١ - يجب على المعلم أن يمنع العادات القبيحة قبل أن يكتسبها الطالب وتصبح سلوكا عاديا ، ذلك أن محاولة القضاء على عادة من العادات ، بعد أن تكون قد تكونت ، محاولة فاشلة فى أغلب الأحيان .

٢ - يجب أن يعطى المعلم المعلومات فى السن الملائمة لها ، إذ أن تعليم مادة خاصة بسن معينة بعد فوات السن المناسبة تعليم عديم الجدوى .

٣ - يجب التدرج فى إعطاء المعلومات ، بحيث يبدأ المعلم بالسهل وينتهى بالصعب ، فالمعلومات إذا لم تعط فى تدرج وتسلسل فإن هذا من شأنه أن يوجد البلبلة والتشويش فى عقلية الطلاب ومعلوماتهم .

٤ - يجب أن تعطى المعلومات للطلاب مجتمعين لا فرادى ، بهدف إثارة التنافس بينهم وتشجيع المجتهدين . ثم إن تعليم طالب وحده منعزلا عن بقية زملائه من شأنه أن يعمل على تضييق أفق تفكيره ويجعل معلوماته ضئيلة .

وكان عدد الأطفال الذين يلتفون حول المعلم فى مدرسة القرية يتراوح بين العشرين والأربعين ، وكانت ساعات التعليم من شروق الشمس إلى الساعة العاشرة صباحا ، وبعدها يذهب الأطفال إلى منازلهم للغذاء ، ثم من الساعة الحادية عشر إلى الخامسة

مساء . وكان للمدرس مكتب ومقعد ، وكل تلميذ يجلب من منزله مكتبا ومقعدا لنفسه ، ويدخل التلميذ المدرسة فى سن السابعة تقريبا ، وعندما يدخل طفل المدرسة ، تقيم أسرته الأفراح احتفالا بذلك ، وأول عمل يعمله الطفل عند التحاقه بمدرسة ، هو حرق البخور أمام مذبح كونفوشيوس ، وإذا لم يوجد مذبح ، فكل ورقة عليها اسم ذلك المصلح الكبير تكفى للغرض ، وبعد ذلك يحيى أستاذه بكل احترام ووقار (٨٨) ٠ وعند مجىء التلاميذ ينحنون أمام صورة إله العلم وهى من أقبح الصور ، ثم ينحنون للمعلم وبعد ذلك يجلسون !!

وثمة نقطة أخرى تتعلق بطبيعة التربية الصينية ، جدير بنا أن نشير إليها ، فبينما يخصص للتعليم معهد خاص ، هو المدرسة ، فإن الأسرة كانت تقوم بتمهيد الأساس له بصفة خاصة ، فغرس الأخلاق لدى الصينيين هو من مهام الأسرة ومحتويات أدبهم المقدس مرتبطة ارتباطا تاما بهذه العلاقات - وكانت ديانتهم عبادة السلف - وأن تقوى الأبناء هى أعظم فضيلة لديهم ، بل هى سيدة الفضائل ، والأسرة فى الحقيقة هى أساس النظام الاجتماعى ، وذلك لأن خطيئة الآباء قد يعاقب عليها الأبناء ٠ على أن تشريعاتهم وأخلاقهم لا تخرج فى روحها عن الروح والقواعد التى رسمتها العلاقات العائلية ، وبهذا الشكل ، تسيطر الأسرة على المجتمع كما سيطرت نسبة الحياة إلى الجماد على الشعوب البدائية (٨٩)٠

ويشهد كثير من الباحثين الموثوق بهم أنه ليس هناك أى مجتمع من المجتمعات ترى فيه التربية شكلية وتغلب عليها الصبغة الأدبية ، ولها من النفوذ العظيم ما للتربية فى الصين ، وبأنه ليس هناك أى مكان آخر كان للتربية فيه نفوذ مباشر ودائم فى صبغ خلق الشعب بصبغة خاصة ، وبأنه ليس هناك أى مكان آخر توجد فيه مظاهر نشاط التربية وعملياتها مثل الصين ٠ وعلى هذا أصبحت بلاد الوحدة المطلقة ، نتيجة لنظم تربيتها ، فهى بلاد العرف والتقاليد المرعية ، وهى البلاد التى لا يسمح فيها بأى تغيير فى الطرق المعهودة فى التفكير والوجدان والعمل ، وإن حدث مثل هذا التغيير فهو نادر ، ومع ذلك فالتربية محدودة فى موادها ، شكلية فى طرقها ، وعلى نمط واحد لا يتغير فى تنظيمها (٩٠)٠

الهوامـــــش

١- ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، م١ ، ج٤ ، ص١١

٢- كامل سعفان : معتقدات آسيوية ، دار الندى ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ٢٤٥

٣-جوزيف ندهام : موجز تاريخ العلم والحضارة فى الصين ، ترجمة محمد غريب جودة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ، ١٩٩٥ ، ص ٤٨

٤- المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

٥- المرجع السابق ، ص ٤٩ ٦- المرجع السابق ، ص ٥٣

٧- ديورانت : قصة الحضارة ، م١ ، ج٤ ، ص ١٣

٨- المرجع السابق ، ص ٢٣

٩- جون كول : الفكر الشرقى القديم ، ترجمة كامل يوسف حسين ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والإعلام ، الكويت ، سلسلة أعلام العرب (١٩٩) ، يوليو ١٩٩٥ ، ص ٣٣١

١٠- المرجع السابق ، ص ٣٣٢

١١- ديورانت : قصة الحضارة ، م١ ، ج٤ ، ص ٢٨

١٢- المرجع السابق ، ص ٢٩

١٣- كامل سعفان : معتقدات آسيوية ، مرجع سابق ، ص٢٥٤

١٤- المرجع السابق ، ص ٢٥٥

١٥- هيجل : محاضرات فى فلسفة التاريخ ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ج٢ ، ١٩٨٦ ، ص٦٨

١٦- المرجع السابق ، ص ٧٠

١٧- المرجع السابق ، ص٧١

١٨- المرجع السابق ، ص ٧٢

١٩- كامل سعفان : معتقدات آسيوية ، مرجع سابق ، ص ٢٦٣

٢٠- ا.و.ف. توملين : فلاسفة الشرق ، ترجمة عبد الحليم سليم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٢٨١

٢١- المرجع السابق ، ص ٣٨٣

٢٢- ديورانت : قصة الحضارة ، م١ ، ج٤ ، ص ٣١
٢٣- المرجع السابق ، ص ٣٤
٢٤- لو تسو : الطريق إلى الفضيلة ، ترجمة علاء الديب ، دار سعاد الصباح ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٤٢
٢٥- المرجع السابق ، ص ٤٨
٢٦- المرجع السابق ، ص ٥٢
٢٧- المرجع السابق ، ص ٧٨
٢٨- المرجع السابق ، ص ٧٨
٢٩- المرجع السابق ، ص ٧٩
٣٠- المرجع السابق ، ص ٨٧
٣١- تاريخ العلم والحضارة فى الصين ، مرجع سابق ، ص ١٤٨
٣٢- المرجع السابق ، ص ١٤٩
٣٣- صلاح بسيونى رسلان : كونفوشيوس رائد الفكر الإنسانى ، دار قباء ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص ٤٣
٣٤- المرجع السابق ، ص ٤٤
٣٥- محسن فرجانى (مترجم) : محاورات الرجل الذى اختار الإنسانية ، أخبار الأدب ، مؤسسة أخبار اليوم ، القاهرة ، ٢٢مارس ١٩٩٨
٣٦- ديورانت : قصة الحضارة ، م١ ، ج٤ ، ص ٤١
٣٧- المرجع السابق ، ص ٤٢
٣٨- محسن فرجانى ، مرجع سابق ٠
٣٩- كامل سعفان ، معتقدات آسيوية ، ص ٢٦٩
٤٠- المرجع السابق ، ص ٢٧٠
٤١- كولر : الفكر الشرقى القديم ، مرجع سابق ، ص ٣٣٤
٤٢- توملين : فلاسفة الشرق ، مرجع سابق ، ص ٢٨٩
٤٣-٥٠فان براج : حكمة الصين ، ترجمة موفق المشنوق ، الأهالى للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٩٩٨ ، ص ٩٧
٤٤- المرجع السابق ، ص ٩٨
٤٥- كولر : الفكر الشرقى القديم ، مرجع سابق ، ص ٣٥٠

٤٦- المرجع السابق ، ص ٣٥١

٤٧- كامل سعفان : معتقدات آسيوية .مرجع سابق . ص ٢٧٨

٤٨- صلاح رسلان ، كونفوشيوس ، مرجع سابق . ص ٧٧

٤٩- المرجع السابق ، ص ٧٨

٥٠-جفرى بارندر(تحرير) : المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة (١٧٣) ، مايو ١٩٩٣ ، ص ٢٨٨

٥١- كولر : الفكر الشرقى القديم ، مرجع سابق ، ص ٣٥٦

٥٢- المرجع السابق ، ص ٣٥٧

٥٣- صلاح رسلان ، كونفوشيوس ، مرجع سابق ، ص٨٣

٥٤- بارندر : المعتقدات الدينية ، مرجع سابق ، ص ١٩

٥٥- ديورانت : قصة الحضارة ، م١ ، ج٤ ، ص ٥٤

٥٦- أنور عبد الملك : كونفوشيوس ، البعيد القريب ، جريدة الأهرام ، فى ١٩٩٧/٨/١٢

٥٧- محسن فرجانى ، أخبار الأدب ، ٢٢ مارس ١٩٩٨

٥٨- المرجع السابق .

٥٩- محسن فرجانى (مترجم) : محاورات كونفوشيوس، أخبار الأدب ، مؤسسة أخبار اليوم ، ١١ أبريل ، ١٩٩٩

٦٠- بارندر : المعتقدات الدينية ، مرجع سابق ، ص ٢٨٨

٦١- ديورانت : قصة الحضارة ، م١ ، ج٤ ، ص ٣٣٥

٦٢- بول مونرو : المرجع فى تاريخ التربية ، ترجمة صالح عبد العزيز ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ج١ ، ص ٢٦

٦٣- المرجع السابق ، ص ٢٧

٦٤- ألكسندر ستييتفيتش : تاريخ الكتاب ، ترجمة محمد م. الأرناؤوط ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، (١٦٩) ، يناير ١٩٩٣ ، القسم الأول ، ص ٤٧

٦٥- المرجع السابق ، ص ٤٨

٦٦- المرجع السابق ، الصفحة نفسها

٦٧- المرجع السابق ، ص ٤٩

٦٨- المرجع السابق ، ص ٥٠

٦٩- مونرو : المرجع فى تاريخ التربية ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٢٠

٧٠ - صلاح رسلان : كونفوشيوس ، مرجع سابق ، ص ٦٠

٧١- المرجع السابق ، ص ٦٢

٧٢- ديورانت : قصة الحضارة ، م١ ، ج٤ ، ص ٤٢

٧٣- مونرو : المرجع فى تاريخ التربية ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٢٠

٧٤- المرجع السابق ، ص ٢١

٧٥- ديورانت ، م١ ، ج٤ ، ٤٤

٧٦- المرجع السابق ، ص ٤٥

٧٧- مونرو : المرجع فى تاريخ التربية ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٣٨

٧٨- المرجع السابق ، ص٣٩

٧٩- أحمد فهمى القطان : تاريخ التربية ، ج١ ، التربية قبل الإسلام ، مطبعة مدرسة طنطا الصناعية ، د٠ن ، ١٩٢٣، ص ٨٤

٨٠- المرجع السابق ، ص ٨٥

٨١- المرجع السابق ، ص ٨٦

٨٢- عبد الله عبد الدايم : التربية عبر التاريخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ٣٥

٨٣- سعد مرسى أحمد : تطور الفكر التربوى ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ص ٧٤

٨٤- المرجع السابق ، ص ٧٥

٨٥- مونرو : المرجع فى تاريخ التربية ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٢٦

٨٦- المرجع السابق ، ص ٢٧

٨٧- صلاح رسلان : كونفوشيوس ، مرجع سابق ، ص ٦٦

٨٨- أحمد فهمى القطان : تاريخ التربية ، مرجع سابق ، ص٨٦

٨٩- مونرو : المرجع فى تاريخ التربية ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٢٢

٩٠- المرجع السابق ، ص ٢٥